(1)

المملكة المغربية
وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي
وتكوين الأطر والبحث العلمي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
لجهة تادلة - أزيلال

امتحان شهادة البكالوريا

دورة : يونيو 2013

المستوى : [illegible] الشعبة : ع. ت المسلك : ع. ح

مادة : الفلسفة

خاص بكتابة الامتحان

156205

النقطة النهائية على 20
19,50/20

اسم المصحح
عبد الحميد الحبيشي

توقيع المصحح

الملاحظات المفسرة للنقطة النهائية
تسعة عشر ونصف على عشرين
موضوع ممتاز جدا

الموضوع I

كانت الفلسفة وما تزال أم العلوم وينبوعا للإشكالات الفلسفية المعرفية خصوصا تلك التي ترتبط بالإنسان باعتبار هذا الأخير المحور الذي تدور حوله ~~الفلسفة~~ منذ نشأتها وحتى الحين، ولعل الغير البشري يعد من بين أهم القضايا التي ترتبط بالإنسان باعتباره كل ما يحدد الذات الإنسانية في مختلف مستويات الوجود أو بتعبير آخر هو ذلك الإطار الذي تنشأ داخله الذات الإنسانية متأرجحة بين بعدين أساسيين الفردي والعلائقي، الفردي أي باعتبارها شخصا واعيا حرا ومسؤولا أخلاقيا وحقوقيا، والعلائقي أي في علاقتها بالغير أي تلك الذات التي تشبهني في المقومات الإنسانية وتختلف عني في المقومات السيكوفيزيولوجية والسوسيو ثقافية، ولعل هذا السؤال الماثل بين أيدينا يتأطر في هذا السياق العام ويسلط الضوء على قضية شائكة تتمثل في معرفة الغير، قضية ربما أخذت أهمية خصبة في إنبات جملة ~~[illegible]~~ من الأسئلة الفلسفية المعرفية مثل: كيف تتأتى معرفة الغير؟ وهل يمكن معرفة هذا الأخير عن طريق الاستدلال بالمماثلة بيني وبينه؟

يطرح هذا السؤال قيد التحليل والمناقشة أطروحة مفادها أنه هناك إمكانية معرفة الغير عن طريق المماثلة بيني وبينه أي بإسقاط تصرفاته وحركاته وتعبيراته على تعبيراتي الشخصية وبالتالي معرفة الوضع الذي يمر به وكيف يفكر وبما يحس. بالنظر إلى هذا السؤال الإشكالي يظهر لنا مفهوم الغير كمفهوم مركزي يتزاحم مع باقي المفاهيم التي يتضمنها السؤال، ونقصد بالغير كما عرفه سارتر "الأنا الذي ليس أنا" أنه ذات حرة مسؤولة أخلاقيا وحقوقيا تشبهني في ذلك تشابها تاما، وإنه الشبيه والمختلف، القريب والبعيد، والصديق والغريب وإنه ذلك الآخر الذي يشاركني الوجود ويرافقني في درب الحياة ويسير معي في نفس الطريق، وهذا ما يجعلني أخضعه للمعرفة، والمعرفة هنا تأتي بمعنى الاكتشاف أي كشف خبايا الغير الخارجية والباطنية أيضا، إنها إعمال للعقل والإدراك الحسي والعاطفي والوجداني من أجل تحصيل قدر كاف من المعارف حول الغير، ولعل من أبرز الوسائل المعتمدة في ذلك المماثلة أي كما سبق وذكرت إسقاط أفعال الغير على أفعالي وبالتالي إصدار حكم شخصي عليه. والمماثلة مصدر صناعي يعني التشبيه أي أن أشبه أفعال الغير بأفعالي الخاصة وبالتالي أحصل معرفة حوله انطلاقا من التجارب الشخصية والسلوكات الخاصة بي.

يمنع على المترشح أن يمضي ورقته، أو يجعل أية علامة تبين مصدر الورقة

ME DU MAROC
EDUCATION NATIONAL
JPERIEUR, DE LA FORMATION
RECHERCHE SCIENTIFIQUE
IONALE D'EDUCATION
A FORMATION
ADLA - AZILAL

EXAMEN DU BACCALAUREAT

SESSION DE : ....

Niveau : .... Série : .... Filière : ....

COMPOSITION DE : ....

Appréciations expliquant la note chiffrée

....

....

nitive sur 20
....
correcteur
....
du correcteur

Réservé
au Secrétariat

مما لا مراء فيه أن الغير هو ذات إنسانية أيضا تعقل بما يعني الذات التي يمتلكها الشخص، فهو شخص آخر، يعيش مثل الأنا نفس التجارب التي يعيشها الأنا، يبكي، يتألم، يفرح مثل الشخص تماما وهذا ما توضح إمكانية معرفته انطلاقا من المماثلة بينه وبين الشخص، فعندما يتبدى الغير للأنا في صورة إنسان خارج عن الذات الفردية فإنه يتبدى له كالشبيه والمماثل لأنه يرى فيه صورة تعكس تصرفاته الشخصية، لذلك يستطيع أن يسقط تصرفات الغير على تصرفاته وأفعاله الذاتية، لكن دون أن يقع في متاهة المفكرة، ويعتبر في ذلك أن هذا الغير هو وحدة كلية لا تقبل التجزيء كما يرى الفينومينولوجي ماكس شيلر حيث أن الظاهر يعبر عن حالة الباطن لأن الباطن والظاهر يشكلان وليس الفصل بينهما إلا ضرب من التعقيد وخلق لأشياء ميتافيزيقية لا أساس لها من الواقع. فعندما أرى هذا الغير يبكي فهذا يبدو تماما على أنه حزين أو يحس بألم ما، لأن تجربة البكاء تجربة قد عشتها وأعيشها دائما عندما أكون في حالة حزن أو عندما أحس بالألم، وعندما أرمق ابتسامة الغير فهذا يدفعني إلى القول بشكل متيقن بأنه سعيد، لأنني أبتسم دائما عندما أحس بالفرح، فأفعال الغير إذن وتصرفاته تعكس حالته النفسية الباطنية وهي وسائل تترجم خبايا النفس فأستطيع بذلك أن أعرف ما يبطنه الغير انطلاقا من المماثلة بينه وبيني، هذه المماثلة التي تفتح آفاقا لخلق علاقة وطيدة مع الغير ما دامت المعرفة تشكل مرحلة أولى كبداية للإقبال والتواصل ولما التعاطف الوجداني وهذا هو أساس الوجود، فلا وجود لأنا يعيش في عزلة أنطولوجية مطلقة، فالوجود الحقيقي هو الوجود مع الغير، أو ما يمكن أن نطلق عليه لفظة الوجود المعي فعن طريق اعتبار الغير كذات لا تقبل القسمة وبالمماثلة بينه وبين الأفعال الشخصية تنفتح مجال التعارف والمعرفة والتواصل والتعاطف كما يرى كذلك موريس ميرلوبونتي.

لكن هل يمكن فعلا معرفة الغير عن طريق المماثلة؟ ثم أن الغير هو لغز صعب المنال ومستعص عن كل معرفة؟

بالرجوع إلى الدلالة الاصطلاحية للمعرفة يظهر أن هذا الغير العقلي والجسدي يكون دائما من الذات إلى الموضوع، فالشخص يستطيع فقط أن يعرف الموجودات الخارجة عن ذاته ولا حول له ولا قوة على معرفة الغير، وإلا فإنه سيحوله إلى موضوع خال من كل إنسانية أو بالتعبير السارتري "إلى شيء" فمعرفة الغير تقتضي بلا ريب تشييء هذا الأخير، فالغير لا يظهر لأننا إلا كموضوع أما باطنه فيستحيل إستحالة مطلقة معرفته لأن بين الأنا والغير هوة يصعب ردمها ومسافة يصعب طيها وعدم يصعب تبديده. كما أنه لا مجال للمماثلة بينهما مادام كل واحد منهما يعيش في عالمه السري الخاص به ويبني حوله جدارا سميكا وحصنا منيعا يصعب تجاوزه، فلا توجد بذلك تجارب مشتركة أو وضعيات تسمح بالمماثلة بين الشخص والغير فلا توجد إلا الحميمية المطلقة والتجربة الذاتية التي لا يمكن نقلها إلى الغير حتى وإن أراد ذلك الشخص بكل صدق، فبتعبير الفيلسوف غاستون بورجي "ألم الغير هو ألم تولاني عني" ولا يمكن بذلك للشخص أن يتطاول على الغير وأن يعتقد بأنه يستطيع أن يعرف هذا الأخير عن طريق وسيلة بسيطة وهي المماثلة، فإن ظن ذلك فإنه لن يكون إلا في وهم زائف وحقيقة مغلوطة.

معرفة الغير إذن تظهر من أصعب الأمور بل من أشد الصعوبات التي وكلت إلى الشخص، فالوجود مع الغير في هذا الكوكب الأزرق يحتم على الأنا أن يدخل في محاولات مستمرة للتعرف عليه مادام أن هذا الأخير يشبهه كثيرا، لكن القول بإمكانية معرفة الغير عن طريق المماثلة ربما يبدو شيئا جزافيا، ألم نرى دموعا كاذبة، وصداقات منافقة، وابتسامات ساخرة؟ بلى رأيناها وأحسسنا بها مرارا وتكرارا، فلطالما كانت أفعال الغير الظاهرة تمويه وخداع للأنا ولطالما كانت تصرفاته وسلوكاته ترجمة خاطئة ومعاكسة تماما لما يكنه باطنه؛ فالظاهر لا يعني الباطن، والجسد لا يعبر عن الروح والخارج مختلف تماما عن الداخل، وحتى وإن أراد هذا الشخص أن يتجاوز كل هذه الثنائيات الميتافيزيقية وبذلك يتجاوز ضمنيا ما تجليه لنا الواقع المعيش، وذلك بربط علاقة تواصل وتعاطف وجداني مع الغير وجعله محط ثقة مطلقة ومعرفته انطلاقا من المماثلة بينه وبين الشخص، وحتى وإن استطاع أن يخلق أسمى الروابط الوجدانية والإنسانية مع هذا الغير، فسيظل دائما هناك أماكن مشبوهة تحرم تحريما مطلقا على الشخص بلوغها، وإن ظن لوهلة أن التواصل مع هذا الغير والتعاطف معه كان إنسانيا، فإن هذا الظن لا يمت بصلة للحقيقة بل إنه يعاكسها تماما. وبالتالي كل تلك الأحكام التي يصدرها الشخص على الغير انطلاقا من هذا الاستدلال — الاستدلال بالمماثلة — ستبقى تخمينات لا غير وأحكاما خاطئة في أغلب الأحيان كما أكد على ذلك الفيلسوف العقلاني "مالبرانش" فهذه المعرفة لن تكون إلا معرفة تخمينية بعيدة كل البعد عن اليقين وتدور في مدار معاكس لليقين التام والمطلق.

إن مشيئة الطبيعة هاته التي اقتضت أن يعيش الشخص في علاقة مع شخص آخر وهو الغير قد اقتضت بشكل ضمني أن تقيده في دوامة فارغة وأن تحكم عليه بالبقاء فيها مادام يسعى لمعرفة الغير، لأن معرفة الغير تكاد تكون مستحيلة والاحتجاج إلى المماثلة بينه وبين هذا الغير ليست إلا مجازفة

ومهما أراد هذا الشخص أن يعرفه فإن نتائجها ستبقى دائما غير مضمونة، مادام هذا الغير يستطيع أن يتستر على باطنه ويرسم للشخص صورة مزيفة عن حقيقته الباطنية. لكن ليست المعرفة بالغير ممتنعة، ويستطيع الشخص أن يقوم بمماثلة أفعال الغير بأفعاله مادام أنه يدرك تمام الإدراك أن هناك إمكانية حدوث هذا الإستدلال كما أن هناك إمكانية خطئه، ولذلك سيخلق ثقة وحلم مع هذا الغير مادام يحسن الظن به ويعامله بطريقة إنسانية.

وفي نهاية المطاف يمكن القول بأن هذا الإبحار في هذا الموضوع الإنساني الأكثر منه فلسفي، هو إبحار في الوجود المشترك وفي الحياة الإنسانية التي تضم الشخص والغير، والتي تخلق بينهما أخوة وثقة لا انفصام لها، حياة تقتضي بالضرورة الإنفتاح على الغير والتحرر من قيود الإحساس بغرابة هذا الغير وبناء جسر تواصل معه ~~هذا الآخر~~ ومحاولة معرفته، حتى وإن كانت هذه المعرفة ستكون مشكوكا في دقتها وصدقها. لكن السؤال الذي يستحق أن يطرح هنا هو كيف يمكن لهذا الآخر أن يعرف الغير مادام هو نفسه لا يعرف نفسه جيدا؟ وكيف نلتجئ إلى المماثلة بين أفعال الغير وبين أفعاله التي لا يجد لها تفسيرا في أحيان معينة؟ والأصعب أنه يحتاج إلى آخر من الأغيار مثل الطبيب النفسي لكي يفسر له بعض تصرفاته وسيساعده في معرفة نفسه؟ إذن فلكي يعرف الشخص نفسه يكون مرغما على المرور عبر هذا الغير. أما إذا تخلى هذا الشخص بثقة عمياء عن قدرته على كشف خبايا الغير، وإذا قرر هذا الغير أن يضع كل أوراقه أمام أعين الشخص، فإن هذا ربما سيكون خرقا للطبيعة القاضية بأن ما يخص الأنا سيبقى خاصا به وما يتضمنه الغير سيبقى مضمرا لن تستطيع أية قوة كيفما كانت أن تكشفه.

وعندما يلجأ الشخص إلى معرفة الغير عن طريق المماثلة بينه وبين هذا الأخير، فإنه بذلك يحكم على نفسه بالدقة بالسراب والعيش في الوهم والتشبث بالكذب والزيف ويخرس بذلك صوت الحقيقة القائلة بأن:

"المعرفة اليقينية بالغير وبلوغ حقائق هذا الأخير غائب أبدي"